

مجلة المجمع العلمي العربي

انشئت في اول كانون الثاني سنة ١٩٢١ الموافق ٢١ ربيع الثاني سنة ١٣٣٩

تصدر في دمشق مرة في الشهر

قيمة اشتراكها ليرة ونصف سورية

فهرست الجزء الخامس من المجلد الثاني

ايار سنة ١٩٢٢

صفحة





الجزء ٥ / ايار سنة ١٩٢٢ م الموافق ٤ رمضان سنة ١٣٤٠ هـ المجلد ٢

غابر الاندلس وحاضرها

(١) صدر الكلام ومصادره

زرت في الشتاء الماضي (١٣٤٠ — ١٩٢٢) بعض امهات مدن الاندلس، فاراد ني غير واحد من الاحباب على ان احدثهم بطرف مما شاهدت في ربوعها من بقايا حضارة العرب، فاجبتهم الى رغبتهم، شاكراً حسن ظنهم، وقد رأيت ان اشفع مشاهداتي، بشيء من مطالعاتي، عن هذا القطر ليتعرف القارئ من الغابر، وجه الحاضر، ويقيس في الجملة ما كان هناك في عهد امتنا، على ما هو كائن اليوم في عهد غيرها، اذكر ما أثره العرب في تلك القاصية من حضارة، وأتوه من مجد خالد على جبين الدهر، والسبب الذي به ارتفعت الاندلس حتى عدت ارقى مملكة في عهد شبابها، والاعراض التي عرضت لها، فهرمت فزال سلطانها، وتداعى عمرانها، وابذعر سكانها، وربما نفعت في الاخلاف، سيرة الاسلاف، خصوصاً في ارض لم يكتفوا بان فتحوها، بل عمروها ودبروها، وحكموها واحكموها، ومدارسة حياة الاجداد، تربي اخلاق الابناء والاحفاد، يصيبون فيها حكمة بالغة، وموعظة حسنة، والتاريخ يلقن الفكر الجديد، وينير الطريف بالتليد، والله وارث الارض ومن عليها.

وهاك ما رجعت اليه من الكتب والرسائل في تأليف الفصول التالية ومنه تعالى استمد المعونة ومن الراسخين في العلم تصحيح ما عساهم يعثرون عليه من الهفوات .

(١) طبقات الامم لصاعد الاندلسي (طبع بيروت) (٢) نفح الطيب للمقري (مصر) (٣) المعجب في تلخيص اخبار المغرب للمراكشي (ليدن) (٤) قلائد العقيان للفتح بن خاقان (مصر) (٥) مطمح الانفس له (الاستانة) (٦) البيان المغرب في اخبار المغرب لابن عذارى (ليدن) (٧) الاحاطة في اخبار غرناطة للسان الدين بن الخطيب (مصر) (٨) رقم الحلل له (تونس) (٩) الحلل الموشية له (تونس) (١٠) الذخيرة في شعراء الجزيرة لابن بسام (مخطوط) (١١) اخبار العصر في انقضاء دولة بني نصر (مونيخ) (١٢) التعريف بالمصطلح الشريف لابن فضل الله العمري (مصر) (١٣) المسالك والممالك لابن حوقل (ليدن) (١٤) احسن التقاسيم للمقدسي (ليدن) (١٥) كتاب البلدان لابن واضح اليعقوبي (ليدن) (١٦) تقويم البلدان لابي الفدا (باريز) (١٧) اخبار مجموعة في فتح الاندلس وذكر امرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بينهم (مجريط) (١٨) الجزء الثاني والعشرون من كتاب نهاية الارب في فنون الادب للنويري وفيه اخبار ملوك الاندلس من العلويين والامويين ومن ملك بعد بني امية الى حين انقراض الدولة العبادية (غرناطة) (١٩) الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية (الجزائر) (٢٠) كتاب محمد بن تومرت مهدي الموحدين (الجزائر) (٢١) عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المئة السابعة ببجاية للغبريني (الجزائر) (٢٢) المؤنس في اخبار افريقية وتونس لابن ابي دينار (تونس) (٢٣) ديوان ابن حمديس الصقلي السرقوسي (رومية) (٢٤) النجوم الزاهرة لابن تغري بردي (ليدن) (٢٥) العيون والحدائق في اخبار الحقائق (ليدن) (٢٦) تاريخ المسعودي (باريز) (٢٧) تاريخ الكامل لابن الاثير (مصر) (٢٨) تاريخ ابن خلدون (مصر) (٢٩) الحلة السيراء لابن الابار (ليدن) (٣٠) كتاب القضاة بقرطبة للخشني (مجريط) (٣١) تكملة التكملة لابن الابار (مجريط) (٣٢) التكملة لكتاب الصلة لابن الابار (الجزائر) (٣٣) صبح الاعشى للقلقشندي (مصر) (٣٤) معجم البلدان لياقوت الحموي (ليبسيك) (٢٥) المكتبة العربية الاندلسية وفيها ستة كتب وهي الصلة لابن بشكوال وبغية الملتمس لابن

عميرة الضبي والمعجم لابن الابار والتكملة لكتاب الصلة لابن الابار وتاريخ علماء الاندلس
لابن الفرضي وفهرست مارواه عن شيوخه من الدواوين المصنفة في ضروب العلم وانواع
المعارف ابو بكر بن خليفة الاموي الاشبيلي نشرها المستشرقان الاسبانيان كوديرا
وريبرا (مجريط) *F. Codera et J. Ribera : Bibliotheca*
Arabico-Hispana (Madrid) (٣٦) المكتبة العربية الصقلية لميشل آماري
(ليبسيك) *M. Amari : Bibliotheca arabo-sicula (Leipzig)*
(٣٧) محاضرة ابن زيدون لاحمد زكي باشا نشرت في السنة الثانية من مجلة البيان
(مصر) (٣٨) السفر الى المؤتمر لاحمد زكي باشا ايضاً (٣٩) قصيدة ابن عبدون وشرحها
لابن بدرون (ليدن) (٤٠) رسالة ابن زيدون وشرحها للصفدي (٤١) ترجمة ابن
عباد (ليدن) (٤٢) ترجمة ابن زيدون (ليدن) (٤٣) ترجمة ابن عبدون وملوك بني
الافطس (ليدن) (٤٤) قاموس الاعلام لشمس الدين سامي (تركي طبع الاستانة)
(٤٥) مجلة المقتطف (٤٦) مجلة المقتبس (مصر والشام) (٤٧) دائرة المعارف
الاسلامية (ليدن) *Encyclopédie de l'Islam, Leyde* (٤٨) تاريخ
مسلمي اسبانيا لدوزي (باريز) *: Dozy Histoire des Musulmans*
d' Espagne, Paris (٤٩) التاريخ العام للافيس ورامبو (باريز) *Lavisse*
et Rambaud : Histoire générale, Paris (٥٠) تاريخ العرب والمغاربة
في اسبانيا والبرتقال لكوند (باريز) *J. Conde : Histoire de la do-*
mination des Arabes et des Maures en Espagne et en
Portugal, Paris (٥١) تاريخ العرب العام لسيديليو (باريز) :
Sedillot : Histoire générale des Arabes, Paris (٥٢) تاريخ العرب
لهوار (باريز) *C. Huart : Histoire des Arabes. Paris* (٥٣) تحالةفي
تحليل نفوس الشعوب الاوربية لفوليه (باريز) *Fouillée : Essai d'une psy-*
chologie des peuples européens. Paris (٥٤) المخطوطات العربية
في الاسكوريال لهارتويغ دارنبورغ (باريز) *Hartiwig Derenbourg : Les*
manuscrits arabes de l'Escurial, Paris (٥٥) الصنائع في اسبانيا

لكوميز مورينو (مجريط) Gómez-Moreno : El arte en Espana
(٥٦) الكتابات العربية في غرناطة لاميليو لافوانتي اي الكنترار (Madrid)
(مجريط) Emilio Lafuente y alcántrara : Inscriptiones ar-
(٥٧) دليل اسبانيا والبرتقال لبيدكر abes de Grenada (Madrid)
(ليبسيك) (٥٨) بحث Baedeker : Espagne et Portugal, Leipzig
وصفي لصنائع العرب تأليف رافائيل كونتريراس (مجريط) Raphahël Contreras :
Etudes descriptives des monuments arabes. Madrid
(٥٩) تاريخ الاديان العام لسلمون ريناخ (باريز) Salomon Reinach ;
(٦٠) اسبانيا في القرن Histoire générale des religions. Paris
العشرين لمارفو (باريز) Marvaud : L'Espagne au XXe siècle. Pairs
(٦١) الاسبانيون والبرتقاليون في بلادهم لكيلاردي (باريز) Quillardet :
(٦٢) اسبانيا والبرتقال Espagnols et Portugais chez eux, Paris
مصورتان (باريز) L'Espagne et le Portugal illustrés. Paris
(٦٣) دائرة المعارف الافرنسية الكبرى (باريز) La grande encyclopédie
(٦٤) معجم لاروس المصور (باريز) Nouveau Larousse française, Paris
(٦٥) بحث في حياة ابن زيدون لاوغست كور (الجزائر) illustré, Paris
(٦٦) تعليم اللغة العربية في Auguste Cour : Ibn Zaïdoûn, Alger
اسبانيا لميكائيل آسين بلاسيوس (الجزائر) M. Asin Palacios : l'ens-
(٦٧) معجم الكل في eignement de l'arabe en Espagne. Alger
واحد او موسوعات العلوم البشرية Tout en un : Encyclopédie des
(٦٨) دستور في الصنائع الاسلامية لسالادين connaissances humaines
وميجون Saladin et M'geon : Manuel d'art musulman

(٣) تحية الاندلس

عشقتها ولم تسعدني الايام بامتاع النظر في جمالها ، واستطلعت طلع اخبارها ،

فروى الرواة عنها عجائب اقلها مما يستهوي النفوس المتمردة، ويأخذ بمجامع القلوب الجافة العاصية، تفردت بين بنات جيلها بما خصت به من معاني الحسن والاحسان، فكثر الخطاب والطلاب، وهي لا تنفك تبدي لمن أم حماها صنوفاً من اللطف والظرف، وتخاطب البعيد والقريب بثغر باسم، وترشقهم بنظرات، لا تخلو من غمزات، تريد بها المزوء بنكبات الزمان، والاستخفاف بمخافة الانسان.

عشقتها منذ عهد الصبا، وعشق الصبا شديد، لما قرأته الباصرة من وصف محاسنها وحملته الى البصيرة ففكرت فيه، وتدبرت خوافيه وحواشيه، وزادني غراماً بها ما سمعت من ان أناساً قبلي أصيبوا بما اصبت به، وعدوا النزول في حماها ولو ساعة سعادة العمر، وحسنة الدهر: العشق فنون وعشقي كان لارض الاندلس، عليها من كل عربي الف الف سلام، على مر العصور والايام.

عشقتها لكثرة ما تلوت من آثار من درجوا على اديمها من ابنائها وغير ابنائها، وكانت المخيلة تصورها في مظاهر صح بعضها يوم اللقاء، وآخر كان بالطبع كالخيال، في الاندلس تم نحو نصف مدنية العرب الباهرة، وقضوا في ارجائها نحو ثمانية قرون كانت بجملتها وتفصيلها عهد السعادة والغبطة، ودور ظهور النوابغ وارباب الابداع والقرائح، وكم من امة من امم الحضارة الحديثة على كثرة ما اقتبست واوجدت، لم يتيسر لها حتى يوم الناس هذا ان تبلغ مكانة الاندلس فكان هذا الصقع في منقطع ارض المغرب وآخر ارض العرب بين البحرين المحيط والمتوسط برهاناً ازلياً على فرط استعداد العرب للعلوم والصناعات وناعياً على من انكروا لافراطهم في الشعوبية فضل هذه الامة على الحضارة.

اقام العربيون ضروباً من المصانع من بيع واديار ومتاحف ومكاتب ومدارس وجسور وسدود وطرق ومعابر وقنابل ونصب وبرك، لكنهم لم يصنعوا على كثرة تفننهم في هذا الشأن منذ عهد اليونان والرومان، طرزاً من البناء يكلمك ولا لسان له فيقول، وينظر اليك فيعمل في شغاف قلبك ولا عين له فتنظر، ويطربك بتساوق نغماته من دون ماصناجة ولا وتر ولا الحان. مصانع كثيرة بقيت بقاياها في طليطلة وقرطبة واشبيلية وغرناطة سلبتها الفتن والجهل تارة شطراً من بهائها، وسالمتها حيناً فابقت

عليها ، او رممت شيئاً مما اضرت به عوامل الاباء وان لم تعد اليها نضرتها الاولى .

سلام على ارض طيبة خصها الخالق باجمل الهبات الطبيعية الطيبة ، فلا ينقصها زكاء تربة في نجادها ووهادها ، ولا مياهاً عذبة دافقة من هضابها على شعابها ، ولا اشجاراً باسقة وزروعاً خصبة في سهلها ووعرها ، ولا اعتدال مواسم وجمال اقليم ، وصحة ابدان زانها الصانع السماوي بايجاده ، كما زانها الصانع الارضي بابداعه ، وما اجمل الطبيعي والصناعي ، اذا تواعدا الى الاجتماع في خير البقاع .

ليالي الانس ، في جزيرة الاندلس ، وايامها الغرّ ، في سالف الدهر ، فيك قامت سوق الآداب ، بما ارتفعت به رؤوس العرب على غابر الاحقاب ، وكمل في ربوعك الذوق العربي حتى ظن بعضهم انك نسيت كل شيء ماعدا الادب ، وما هذه الآثار الابدية الاثرة عملك وصناعاتك وزراعاتك : سلام على ارواح علمائك وفلاسفتك ونوابغك وادبائك وامرائك ما كان ارجح احلامهم ، يوم سنوا للعرب سنة الاخذ من السعادتين ، وشرعوا لهم شرعة المدنية المثلى ، حملوا فاجملوا من الشرق الى الغرب تعاليم في الدين والدنيا كانت صفوة العقول الى عهدهم فادهشوا من عاصرهم ، وخلفهم من الاجيال ، ونسجوا لهم على غير مثال نسيجاً رقيقاً ، كتبوا لهم فيه سجلاً رقت حواشيه ، ونظاماً متقناً في حكم الانسان للانسان ، يطبع في تاليه اذا تدبره ، طبيعة حسن الذوق والطبع ، وينشئه على ارق مثال من الخيال في الكمال والجمال . مثال حي من حضارة العرب في القارة الاوربية عامة وفي شبه جزيرة اسبانيا خاصة ، يفتخر به العرب على اختلاف اصقاعهم وحق لهم الفخر لان الاندلس العربية الاسلامية كانت ومازالت مدرسة الغرب المسيحي نزل طلابه في قرونهم المظلمة على علماء العرب فاوسعوهم من مكارم اخلاقهم واكرموا مثواهم بما علموهم ، وما اسخى العربي على طالب قراه ، والمعتصم بجواره ، فاذا جاء دور الانحطاط ، وازف رحيل ذاك الرعيل ، من ارض كان الغرب كله بعدهم فيها اثقل دخيل ، ابقوا لهم تلك المصانع ناطقة بفضلهم ، معلمة لهم معاني ليست في معاجم نفائسهم ، ومكذبة على غابر الايام من ينكر المحسوس ، ويغمط الحق لصاحبه ، ويستهويه الغرض ، فيشوه وجه الحق الجميل .

الى اليوم لم يزل في الغربيين اناس يصعب عليهم الاعتراف بمزية العرب بباعث من

بواعث النفوس اللئيمة ، فلا يكادون يصدقون حتى بما ورد عن هذه الامة في كتبهم دع كتبها من اعمال هذه الحضارة الغريبة وما ذاك الاثر الضئيل الباقي من عاديات الاندلس العربية ، الا برهان جلي على ما كان هناك من عدل شامل ، وعقل كامل ، ونظر نافذ ، ويد صناع ، اربت على ما عمل من مثلها في سائر البقاع والاصقاع

(٣) تقويم الاندلس

اخذت العرب اسم الاندلس من اسم سكانها الاصليين الفاندالس **Vandales** فقالوا فاندالسيا اوفاندالوزيا **Vandalitia** او **Vandalusia** واطلقوا عليها اسم الجزيرة من باب التغليب فقالوا جزيرة الاندلس كما قالوا جزيرة العرب وما هي في الحقيقة الا شبه جزيرة لاتصالها من اقصى الشمال بجبال البيرنات اوالثنايا كما كان يعرفها العرب ، قدروا القسم الجنوبي من شبه جزيرة فاندالس او ايبريا او اسبانيا بمسيرة ثلاثين يوما طولا وزهاء عشرين يوما عرضا يحدها البحر من اطرافها الاربعة الا من الشمال الشرقي وميزان وصف الاندلس كما قال ابن سعيد : انها جزيرة قد احدقت بها البحار فاكثرت فيها الخصب والعزة من كل جانب .

والاندلس في عرف اهلها اليوم عبارة عن ثماني ولايات ولاية المرية وولاية قادش وولاية قرطبة وولاية غرناطة وولاية حوالفا؟ وولاية جيان وولاية مالقة وولاية اشبيلية ومساحتها السطحية ٨٦٦٨٧ كيلو متراً مربعاً وسكانها زهاء اربعة ملايين فهي نحو خمس اسبانيا الحالية بسكانها ونحو سدسها بمساحتها السطحية . هذا ما يطلق عليه اليوم اسم الاندلس بيد ان حكم العرب تجاوز ذلك الى برشلونة وما وراءها من الشرق والى لشبونة وما جاورها في الغرب ولم يبق في ايدي الاسبانيين والبرتغاليين من هذه الجزيرة التي تبلغ مساحتها زهاء نصف مليون واربعة آلاف كيلو متر مربع سوى اراض متحجرة ضئيلة من الشمال تعرف ببلاد الجلالقة وآستوريا .

فالعرب لم يملكوا اذاً الجزيرة باسرها حين افتتحوها وانما ملكوا معظمها ولذلك لا تعرف مساحة الاندلس العربية على التحقيق ويقول المسعودي ان مسيرة عمائر الاندلس ومدنه نحو من شهرين ولهم من المدن الموصوفة نحو من اربعين مدينة وقال

غيره ان في ارض الاندلس العامر والغامر فكانت من ثم مساحة الاندلس تختلف بحسب تغلب العرب على اعدائهم او تغلب اعدائهم عليهم وكم من الاقاليم والمدن في الشمال والغرب والشرق دخلت مرات في حكم العرب ثم خرجت عنهم فقد كان عملها لعبد الرحمن بن معاوية في القرن الثاني ثلاثمائة فرسخ في ثمانين ثم صغرت في القرن الثامن حتى اصبحت — كما وصفها العمري — كمفحص القطاة ضيقا ، ومدرج النمل طريقاً .

لا جرم ان مقام العرب في الاندلس كان غير طبيعي لمجاورتها لامم قوية الشكيمة مخالفة لها في الجنس واللسان والدين حتى ان عمر بن عبد العزيز لما ولى السمح بن مالك عليها امره ان يكتب اليه بصفتها وانهارها وكان رأيه انتقال اهلها منها لانقطاعهم عن المسلمين قال المؤرخ وليت الله كان ابقاه حتى يفعل فان مصيرهم الى بوار الا ان يرحمهم الله

وصف المراكشي ما كان في ايدي الاسبان والبرتقال من ارض الاندلس سنة ٦٢١ هـ فقال اول المدن في الحد الجنوبي الشرقي على ساحل البحر الرومي مدينة برشنونة (برشلونة) ثم مدينة طركونة ثم مدينة طرطوشة والمدن التي على غير الساحل في هذا الحد المذكور مدينة سرقسطة ولاردة وافراغة وقلعة ايوب هذه كلها يملكها صاحب برشنونة وهي الجهة التي تسمى ارغن . وفي الحد المتوسط مابين الجنوب والغرب مدينة طليطلة وكونكة واقليج وطلبيرة ومكادة ومشريط (مجريط ?) ووبذ وابلة وشقوبية هذه كلها يملكها الادفنش وتسمى هذه الجهة قشتال . وتجاور هذه المملكة فيما يميل الى الشمال قليلاً مدن كثيرة ايضاً وهي سمورة وشلمنكة والسبطاط وقلمرية هذه كلها يملكها رجل يعرف بالبيوج وتسمى هذه الجهة ليون . وفي الحد الغربي الذي هو ساحل البحر الاعظم اقيانس مدن ايضاً منها مدينة الاشبونة وشنترين وباجة وشنترة وشنتياقو ويابرة ومدن كثيرة يملكها رجل يعرف بابن الريق ووراء هذه المدن مما يلي بلاد الروم مدن كثيرة . ثم ذكر ما يملكه المسلمون لعهده من الاندلس فاورد حصن بنشكلة وطرطوشة وبلنسية وشاطبة وجزيرة الشقر ودانية ومرسية وغرناطة وحصون لرقة وبلش وقالية وبسطة ووادي آش والمرية وحصن منكب ومالقة والجزيرة الخضراء

وقوم القلقشندي الاندلس في المئة الثامنة فقال ان الاندلس اقامت بايدي المسلمين الى رأس الستمائة سنة من الهجرة ولم يبق منها بيد المسلمين الا غرناطة وما معها من شرق

الاندلس عرض ثلاثة ايام في طول عشرة ايام وباقي الجزيرة على سعتها بيد نصارى الفرنج وان المستولي على ذلك منهم اربعة ملوك الاول صاحب طليطلة وما معها ولقبه الادفونش سمة على كل من ملك منهم وعامة المغاربة يسمونه الفنس وله مملكة عظيمة وعمالات متسعة تشتمل على طليطلة وقشتالة واشبيلية وبلنسية وقرطاجنة وجيان وجليقية وسائر اعمالها الثاني صاحب لشبونة وما معها وتسمى البرتقال ومملكته صغيرة واقعة في الجانب الغربي وهي تشتمل على لشبونة وغرب الاندلس. الثالث صاحب برشلونة وارغن وشاطبة ومرقسطة وبلنسية وجزيرة دانية وميورقة . الرابع بيرة وهي بين عمالات قشتالة وعمالات برشلونة وقاعدته مدينة بنبلونه ويقال لملكها ملك البشكنس .

هذا في الجملة تقويم الاندلس في القديم وكما توغلت في سمت الشمال صعب المرور لكثرة الجبال وترامي المسافات وهي اليوم في الخطوط الحديدية سهلة في الجملة فاذا جئت من مدينة باريز وهو الطريق الذي سلكناه تصل الى مجريط في ست وعشرين ساعة وهي ١٤٥٥ كيلومترا ومن مجريط الى قرطبة ٤٤٢ كيلومترا ومن قرطبة الى اشبيلية ١٣١ كيلومترا ومن غرناطة الى جبل طارق ٣٠١ كيلومتر ويتأتى اختصار هذه المسافات اذا كانت القطر تقصد الى البلد مباشرة بدون تنقل او تعاريج ولكن تقل فيها الخطوط المستقيمة والقاطرات .

(٩) فتح الاندلس

لما فتح موسى بن نصير مولى بني امية افريقية وما حولها اي تونس وما وراءها سنة ثمان وسبعين للهجرة وبلغ طنجة سار يريد مدائن على شط البحر وفيها عمال صاحب الاندلس قد غلبوا عليها وعلى ما حولها . وكان بليان احد ملوك الاندلس لموجدة وجدها على بعض الملوك من قومه في تلك البلاد بعث بالطاعة لموسى ، واقبل به حتى ادخله المدائن بعد ان اعتقد لنفسه ولاصحابه عهداً رضيه ، واطمأن اليه ، ثم وصف له الاندلس ودعاه اليها فبعث رجلاً من مواليه يقال له طريف في اربعمائة رجل ومعهم مائة فارس فسار في اربعة مراكب حتى نزل جزيرة سميت به لنزوله فيها . وكانت هذه الجزيرة معبر مراكبهم ودار صناعتهم فاغار على الجزيرة فاصاب شيئاً ورجع سالماً

وذلك سنة احدى وتسعين . ثم دعا موسى مولى له يقال له طارق بن زياد فبعثه في سبعة آلاف من المسلمين جلهم من البربر والموالي ليس فيهم عرب الا قليل فدخل في تلك السفن الاربع في سنة اثنتين وتسعين واخذت السفن الاربع تختلف بالرجال والخيل وضمهم الى جبل على شط البحر منيع فنزله وسمي به جبل طارق والمراكب تختلف حتى توافى جميع اصحابه .

ولما بلغت ملك الاندلس رذريق صاحب طليطلة غارة طريف على الاندلس جمع جموعه قيل مائة الف او شبه ذلك فبعث موسى على سفن كثيرة كان عملها بخمسة آلاف مقاتل فتوافى المسلمون بالاندلس عند طارق اثني عشر الفاً ومعهم يليان في جماعة من اهل البلد يدلهم على العورات ويتجسس لهم الاخبار فالتقى رذريق صاحب طليطلة وطارق بن زياد بموضع يقال له البحيرة فانهزم رذريق ثم مضى طارق الى مضيق الجزيرة فمدينة استجة وحارب فل العسكر الاعظم وهزمه ثم ورد طارق عيناً من مدينة استجة على نهرها على اربعة اميال فسميت العين عين طارق وفرق جيشه فارسل فرقة الى قرطبة واخرى الى رية وثالثة الى غرناطة وسار هو في عظم الناس يريد طليطلة ففتحت كلها وكذلك مدينة تدمير وامير احد ملوك الاندلس ومنهم من اعتقد على نفسه اماناً ومنهم من هرب الى جليقية في الشمال ثم سار طارق حتى بلغ طليطلة وخلى بها رجالاً من اصحابه فسلك الى وادي الحجارة ثم استقبل الجبل فقطعه من فج يسمى فج طارق .

وفي سنة ثلث وتسعين دخل موسى بن نصير في ثمانية عشر الفاً من وجوه العرب والموالي وعرفاء البربر وقد بلغه ما صنعه طارق بن زياد فحسده وخشي ان ينال شرف الفتح دونه امام الخليفة من بني امية . فلم يلبث ان فتح من المدن ما لم يفتحه طارق مولاه فافتتح مدينة شذونة وقرمونة واشبيلية وحاصر هذه اشهراً فهرب اهلها الى مدينة باجة ثم مضى موسى الى مدينة ماردة وقاتلهم عليها اشهراً فصالحه اهلها على ان جميع اموال القتلى واموال الهاربين الى جليقية للمسلمين واموال الكنائس وحليها له ثم افتتح سرقسطة ومدائنها .

ذكروا ان المسلمين انتهوا الى مدينة لوطون قاعدة الافرنج ولم يبق لاهل الاسلام شيء لم يتغلبوا عليه مما وراء ذلك الا جبال قرقوشة وجبال بنبلونة وصخرة جليقية فاما

الصخرة فلم يبق فيها مع ملك جليقية الا ثلثمائة رجل تلفوا بالموت والجوع والحصار فلما لم يبق منهم الا ثلثمائة رجل ورأى ذلك المرتبون على حصارهم استقلوهم فتركوهم فما يزالوا يزدادون حتى كانوا سبب اخراج المسلمين من جليقية وثم قشتيلية .

هذه زبدة مما قاله المؤرخون في فتح الاندلس ولا شك ان قرب سواحلها من شواطيء افريقية قد ساعد العرب كثيراً على هذا الفتح فان المجاز او الزقاق كما كان يسميه العرب بين البرين بر العدوة[1] وبر الاندلس قريب جداً يسهل معه نقل الذخائر والجيش من افريقية وذلك لان الزقاق في موضع يعرف بجزيرة طريف من بر الاندلس يقابل قصر مصمودة بازاء سلا في الغرب الاقصى وعرضه اثنا عشر ميلاً ومن الجزيرة الخضراء في الاندلس الى مدينة سبتة ثمانية عشر ميلاً . والباخرة تقطع المسافة اليوم من الجزيرة الخضراء او جبل طارق الى طنجة فرضة الغرب الاقصى في نحو ثلاث ساعات .

وانت ترى ان معدات الفتح عند العرب كانت قليلة ومع هذا استصفوا الاندلس في مدة وجيزة وذلك لان الاختلاط القديم المستحكم للجوار بين اهل الاندلس وبين اهل شمالي افريقية وتغلب الاندلسيين احياناً على بلاد البربر اي الغرب الاقصى والاوسط قد هيأ لسكان البلاد بل لقوادها وحكامها من العرب ان يعرفوا معالم الاندلس ومجاهلها ويقفوا على مواطن الضعف من حكوماتها فقد جاؤوها والاختلاف بين ملوكها على اشده والبلاد قد جاعت قبل مجيئهم ثلاث سنين (من سنة ثمان وثمانين الى سنة تسعين) ثم وبئت حتى مات نصف اهلها او اكثر . واذا صح ان الملك الاعظم في طليطلة جيش على العرب مئة الف مقاتل وهو مستبعد فان جيش موسى بن نصير البالغ اثني عشر الفاً قد تغلب عليه لا بعدده بل بما للعرب من الاضطلاع بامور الحرب هذا واهل البلاد كانوا

(١) العدوة بضم العين المكان المتباعد ويطلق العرب بر العدوة على ما سامت الاندلس من شمالي افريقية وبعد عن بلادهم ويعنون بالعدوة المغرب الاقصى والاوسط والادنى اي مراكش والجزائر وتونس . وقال صاحب التاج وبر العدوة بالاندلس واليه نسب شهاب الدين بن ادريس العدوي عن قاسم بن اصبغ قيده الرشاطي . ولعل العدوة هذه بلدة من بلاد الاندلس ليست مشهورة والمشهور ان العدوة كما قلنا وايده علماء الجغرافيا من العرب .

في الجملة يريدون الخلاص مما هم فيه من سوء الحال . لا سيما اليهود فانهم كانوا قبل بضع سنين قد ذاقوا الامرين من حكوماتهم ومواطنيهم المسيحيين فلما جاء العرب الفاتحون كانوا ادلاءهم واكبر رد. لهم لعلمهم بانه ينفس خناقهم بالفاتحين وكان المسلمون كلما دخلوا بلداً جعلوا نصف حاميته من اليهود والنصف الآخر منهم ثقة في ابناء اسرائيل وضعها المسلمون فيهم مدة كونهم في الاندلس .

تولى البلاد المفتوحة عمال الدولة الاموية في الشرق وتعاقب عليها قوادهم ومواليهم منذ سنة ٩٢ هـ وخطب باسم خلفائهم على منابرها ثم خطب مدة قليلة للعباسيين[١] بعد سقوط دولة الامويين بالمشرق حتى اذا كانت سنة ١٣٨ جاء من الشرق هارباً عبد الرحمن ابن معوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان المسمى بالداخل فتغلب بواسطة جماعة من اهل بيته وموالي آل مروان وبما له من العصبية في قبائل زناتة اخواله وكانت والدته منهم حتى استولى على الاندلس وبذل اهلها له الطاعة فاصلح من شأنها ورفع وابناؤه واحفاده من بعده شأن خلافتهم هناك واجمعت القلوب على حبهم وقل المنتقضون على ملكهم المتوثبون على سلطانهم . ولقد انصف المنصور العباسي عندما لقب عبد الرحمن الاموي بصقر قريش لانه « عبر البحر وقطع القفر ودخل بلداً أعجمياً مفرداً ، فمصر الامصار ، وجند الاجناد ، ودون الدواوين ، واقام سلطاناً بعد انقطاعه ، بحسن تدبيره وشدة شكيمته » .

انقرض ملك بني مروان من الاندلس سنة ٤٠٧ هـ على رأس مائتي سنة وثمان وستين سنة وثلثة واربعين يوماً بعد ان جمعوا الشمل ورأبوا الصدع واحيوا المعالم

(١) دعا عبد الرحمن بن معاوية لنفسه عند استفحال امره واستيلائه على دار الامارة قرطبة ويقال انه اقام اشهراً دون السنة يدعو لابي جعفر المنصور متقيلاً في ذلك يوسف الفهري الوالي قبله الى ان افرد نفسه بالدعاء . ويقال ان عبد الملك بن عمر بن مروان بن الحكم اشار عليه بذلك عند خلوصه اليه فقبله الا انه لم يعد اسم الامارة وسلك الامراء من ولده سنته في ذلك الى عهد عبد الرحمن بن محمد الناصر لدين الله فهو الذي تسمى بالخلافة بعد سنين من سلطانه ودعي بامير المؤمنين لما استفحل امره واستبان له ضعف ولد العباس وانتشار سلطانهم بالمشرق وذلك في آخر خلافة المقتدر بالله جعفر بن احمد المعتضد منهم ذكر ذلك ابو مروان ابن حيان مؤرخ الاندلس .

ونشروا العدل وخدموا الحضارة وكانت ايامهم اعراساً وافراحاً فتفرق الملك بايدي ملوك الطوائف فكان «كل ملك لما بيده فضبط اشراف العمالات ازمة امورهم وركبوا ظهور غروره ونافسوا في انتحال الالقاب السلطانية فأتوا من ذلك بكل شنيعة» الى ان قام رأس المرابطين وامير المسلمين يوسف بن تاشفين اللمتوني صاحب المغرب الاقصى واعاد للبلاد مع ابنه علي بن يوسف ما الف نضارتها ودعا للخلافة العباسية على منابر الاندلس ولم تزل الدعوة للعباسيين وذكر خلفائها على منابر الاندلس والمغرب الى ان انقطعت بقيام ابن تومرت مع المصادمة في بلاد السوس ·

تنفس خناق البلاد بالقوة الجديدة التي جاءت بها دولة المرابطين اشد ازر المسلمين في الاندلس كما عادت اليهم بعض القوة على عهد الموحدين وكان هؤلاء لا يتوقفون عن نجدة اخوانهم في الاندلس حتى ان الخليفة المنصور من الموحدين لما دنت وفاته جمع بنيه والموحدين ووصاهم بوصايا منها ايها الناس اوصيكم بتقوى الله «واوصيكم بالايتام واليتيمة» اراد بالايتام اهل جزيرة الاندلس وباليتيمة بلاد الاندلس الا ان احوال الجزيرة اختلت في اواخر دولة امير المسلمين علي بن يوسف فاوجب ذلك تخاذل المرابطين وتواكلهم وميلهم الى الدعة وايثارهم الراحة وطاعتهم النساء فهانوا على اهل الجزيرة وقلوا في اعينهم واجترأ عليهم العدو واستولى النصارى على كثير من الثغور المجاورة لبلادهم وكادت الاندلس تعود الى سيرتها الاولى بعد انقطاع دولة بني امية فاستدعى عقلاء الجزيرة بني مرين من بر العدوة فجاءهم اميرها سنة ٦٥٨ في جيش ضخم فملك بالاندلس ثلاثة وخمسين سوراً ما بين مدن وحصون وهو اول من ملك العدوتين من بني مرين وجاهد الفرنج فدوخ بلادهم وكانت قبل جوازه الى الاندلس تستطيل على المسلمين وملكوا قواعد الاندلس واكثر حصونها مثل قرطبة واشبيلية وجيان وشاطبة ودانية ومرسية وغيرها ولم تنتشر للاسلام راية منذ وقعة العقاب[1] سنة ٦٠٩ الى ان جاءت رايته وكانت

(١) هذه الوقعة وقعة العقاب هي المعروفة عند الافرنج باسم لاس ناڤاس دي تولوزا *Las Navas de Tolosa* وهي قرية من عمل ولاية جيان اشتهرت بانتصار ملوك ارغن وقشتالة ونافار على العرب سنة ١٢١٢ — ٦٠٩هـ وقد ضربوا العرب ضربة لم يتمكنوا بعدها من التوغل في بلاد اسبانيا

الحروب والغزوات متصلة بين العرب واعدائهم في القرن الخامس والسادس والسابع وكثيراً مايؤدي ملوك العرب الجزية للافرنج بعد ان كان هؤلاء في القرن الاول والثاني والثالث والرابع يؤدون الى العرب الجزية . ولما اغلظ ابن تاشفين لالفونس الكلام في المكاتبة قال هذا : « بمثل هذه المخاطبة يخاطبني وانا وابي نغرم الجزية لاهل ملته منذ ثمانين سنة وكان ذلك سنة تسع وتسعين واربعمائه »

وبعد ان زال حكم الموحدين من اسبانيا دخلت في حكم محمد بن يوسف بن هود من بطليوس الى مرسية وقرطبة واشبيلية سنة ٦٢٦ ولما هلك التف المسلمون حول محمد بن يوسف بن الاحمر من أسرة بني نصر فاستولى على الاندلس سنة ٦٢٩ فدام فيه وفي اعقابه نحو قرنين ونصفاً كان الضعف رائد دولتهم اولا حتى لقد صالح ابن الاحمر الفنس ملك اسبانيا سنة ٦٦٥ على ان اعطاه نحو اربعين مسوراً من بلاد المسلمين من الشرق فقال ابو محمد الرندي يرثي الاندلس ويستصرخ اهل العدوة من بني مرين قصيدته المشهورة التي يقول فيها

دهى الجزيرة خطب لاعزاء له	هوى له احد وانهد ثهلان
اصابها العين في الاسلام فامتحنت	حتى خلت منه اوطان وبلدان
فسل بلنسية ما شأن مرسية	واين شاطبة ام اين جيان
واين قرطبة دار العلوم فكم	من عالم قد سما فيها له شان

وساد امر المسلمين فضعف وبنو الاحمر آخر ملوك الاندلس يستصرخون الموحدين من أهل العدوة فينجدونهم حتى رسخت اقدام الملوك من بني الاحمر او بني نصر في بقعة صغيرة من البلاد جعلوا غرناطة عاصمتها ولما انقرضت دولة الموحدين اعتمد بنو الاحمر على قوتهم في حماية سلطانهم حتى ضعف امرهم وصحت نية الاسبان على اخراجهم من شبه جزيرة اسبانيا باتفاق ايزابلا الكاثوليكية وفرديناند واتحاد ملوك ارغن وقشتالة وناڤار تحت سلطان واحد وكان خروج آخر ملك من بني الاحمر من بلاد الاندلس سنة ٨٩٧ هـ ويومئذ انتهى حكم العرب هناك .

***

(٥) — عمران الاندلس

في ارض اندلس تلتذ نعماء ... ولا يفارق فيها القلب سراء
وليس في غيرها بالعيش منتفع ... ولا تقوم بحق الانس صهباء
واين يعدل عن ارض يحض بها ... على الشهادة ازواج وابناء
واين يعدل عن ارض تحث بها ... على المدامة امواه وافياء
وكيف لا يبهج الابصار رؤيتها ... وكل روض بها في الوشي صنعاء
انارها فضة والمسك تربتها ... والخز روضتها والدر حصباء
وللهواء بها لطف يرق به ... من لا يرق وتبدو منه اهواء
ليس النسيم الذي يهفو بها سحراً ... ولا انتثار لآلي الطل انداء
وانما ارج الند استثار بها ... في ماء ورد فطابت منه ارجاء
واين يبلغ منها ما اصنفه ... وكيف يحوي الذي حازته احصاء
قد ميزت من جهات الارض حين بدت ... فريدة وتولى ميزها الماء
دارت عليها نطاقاً ابحر خفقت ... وجداً بها اذ تبدت وهي حسناء
لذاك يبسم فيها الزهر من طرب ... والطير يشدو وللاغصان اصغاء
فيها خلعت عذاري ما بها عوض ... فهي الرياض وكل الارض صحراء

« ابن سفر المريني »

كانت شبه جزيرة اسبانيا في عمرانها قبل الفتح العربي منحطة عن عامة الممالك الاوربية . حكمها الرومان وكانوا من خير من شاد بنياناً ، واقام في المعمور عمراناً ، ومع هذا لم ينلها من عنايتهم كبير امر ، فلما جاء العرب الفاتحون في العقد الاخير من المئة الاولى كان عهدهم الاول عهد الفتوح على نحو ما كان عهدهم في الشام فلما التفتوا فيه الى تجويد البناء حتى اذا ورد على الاندلس من الشرق بل من دمشق عبد الرحمن الداخل الاموي سنة ١٣٨ هـ نقل مع جماعته اسلوب امته في العمران ، وكان سبقه اليها جمهور من الشاميين ، نقلوا اسلوب بنائهم وعاداتهم واصول معايشهم ، فاعتمدوا في بناء قصورهم ودورهم على الهندسة الدمشقية في الغالب ، وجعلوا في الدور فناء او

صحنا في وسطه بركة ماء وعلى جانبيها الازهار والاشجار ، وتقوم بعض طنوف الطبقة الثانية من البناء على عمد من الرخام وغيره ، والدور طبقتان فقط طبقة سفلية للصيف والطبقة العلوية للشتاء ويدخل الى الدار من دهليز . رسم خطط هذه الدور بادئ بدء مهندسون من الروم ثم اصبحت مع الزمن هندسة خاصة للعرب على ما كان شأنهم في الشام .

يقول بعضهم ان العرب لما وصلوا اسبانيا لم يكن لهم هندسة مخصوصة فقلّ فيهم كالاسبانيين الابداع والايجاد ولكنهم تفننوا في النقش . واقدم مصانعهم مسجد قرطبة انشأه عبدالرحمن الداخل سنة ٧٨٥ م والنقوش فيه والفسيفساء من عمل صناع من الروم ومن هنا نشأت الصناعة العربية وتمثلت في المساجد والبيع والقصور والحمامات والابراج والابواب الحصينة . ومن اغرب المباني مسجد طليطلة مثال الهندسة العربية وقاعدة منارة مسجد اشبيلية وكثير من الاروقة والابواب ولما استولى الاسبان على اشبيلية جعل ابن الاحمر غرناطة عاصمته فقام قصر الحمراء وظهرت بدائعه وهو اجمل زهرة من زهرات الصنائع النفيسة التي تفتقت اكمامها بايدي العرب . وظلّ صناع العرب في اسبانيا قروناً بعد ذهاب دولتهم يعملون في المصانع الاسبانية ويدخلون في هندستها بعض اساليبهم فاثروا بها تأثيراً عظيماً في الابنية المبنية على الاسلوب القوطي والايطالي (الرنيسانس) .

ولقد كان لملوك الاندلس وامرائها وقوادها وعامة من تولوا خطط الحكم والقضاء والحسبة غرام باستكمال فخامة الملك وتشييد القصور ، وجلب المياه ، وبناء الارصفة ، واقامة القلاع والحصون . بدأ بذلك عبد الرحمن الاول وجرى آل بيته وعظماء مملكته على قدمه في هذا الشأن ومنهم عبدالرحمن بن الحكم (٢٣٨) الذي كان « اول من جرى على سنن الخلفاء في الزينة والشكل وترتيب الخدمة وكسا الخلافة ابهة الجلالة فشيد القصور ، وجلب اليها المياه ، وبنى الرصيف ، وعمل عليه السقائف ، وبنى المساجد الجوامع بالاندلس ، وعمل السقاية على الرصيف ، واحدث الطرز ، واستنبط عملها ، واتخذ السكة بقرطبة ، وفخم ملكه ، وفي ايامه دخل الاندلس نفيس الوطا وغرائب الاشياء » . ومنهم عبد الرحمن بن محمد الذي قال فيه صاحب العقد : « ان الملوك لم تزل تبني على اقدارها وتقضي عليها بآثارها وانه بنى في المدة القليلة ، ما لم تبن

الخلفاء في المدة الطويلة نعم لم يبق في القصر الذي فيه مصانع اجداده ، ومعالم اوليته ، بقية الا وله فيها اثر محدث اما تزيد او تجديد

كانت البلاد نسقاً واحداً في العمران حتى كان للقرى ايضا نصيب وافر من العناية ولذلك كثر عددها حتى قالوا انه كان على الوادي الكبير فقط اربعة عشر الف قرية فكنت على رواية ابن سعيد اذا سافرت من مدينة الى مدينة لاتكاد تنقطع من العمارة مابين قرى ومياه ومزارع والصحاري فيها معدومة أي في القسم الذي تأصل فيه حكم العرب . ومما اختصت به ان قراها في نهاية من الجمال لتصنع اهلها في اوضاعها وتبييضها لئلا تنبو العيون عنها بل هي طراز من مناظر قد انقنت بالبياض والزخرفة تخطف بالابصار عند وقوع شعاع الشمس دايها

لاحت قراها بين خضرة ايكها   كالدر بين زبرجد مكنون

قويت حركة العمران بالطبع حيث كان بقيم الخليفة والسلطان ولما ابتنى عبد الرحمن ابن محمد في غربي قرطبة مدينة الزهراء خط فيها الاسواق وابتنى الحمامات والخانات والقصور والمتنزهات واجتلب الى ذلك بناء العامة ، وامر مناديه بالنداء ، الا من اراد ان يبني داراً او يتخذ مسكناً بجوار السلطان فله اربعمائة درهم فتسارع الناس الى العمارة فتكاثفت وتزايدوا فيها فكادت ان تتصل الابنية بين قرطبة والزهراء والمسافة اربعة اميال .

كان بناء الاندلسيين بالآجر والحجر وكان الحجر عندهم انواع منه الحمري والاحمر والابيض والجزع وكانوا يختون السواري والعمد من مقالعهم على الاغلب . وقيل ان سواري جامع قرطبة جلبت من البيع القديمة من جنوبي فرنسا وايطاليا ومن افريقية والاستانة وسواء قطعت من مقالع الاندلس او جلبت من القاصية فان في ذلك فضلاً كبيراً للعرب يدل على معرفتهم الاشياء الحسنة وقدرتهم على حمل هذه الاثقال في البر والبحر مع قلة الآلات الرافعة وقصور علم الحيل عما هو عليه في عصرنا

قال احد الباحثين من الفرنجة : في اسبانيا ميدان لدرس الصناعة العربية المغربية منذ بدايتها وكان التردد بادي' بدي، باديًا عليها الى ان ظهرت في مظهرها هذا على غاية من الغرابة والظرف . وقال بعضهم ان الهندسة العربية قد افرغت جهدها في

قصور الحمراء واتت ماوسعتها الاجادة والظرف بامثلة تأخذ بمجامع القلوب في العمران ولو لم يكن جل الاعتماد على الخشب والجص في البناء وهما مما تقل متانته لاتت منهما آثار خالدة اكثر مما أتت ولكن مجموعها مدهش غريب يجدد خيمة العرب الرحل في البادية . ومن اغرب ما اصطنعوه عمل المقرنص في القباب مؤلفاً من عدة قباب صغرى متناسقة بدون ان ترى اللحمة بينها والنقش فيها قليل الا ما كان من جمل نقشت بالحروف الكوفية او العربية المشبكة الاندلسية

قلنا ومعظم الآثار التي بناها الاسبان بعد سقوط آخر دولة الاندلس كانت بايدي صناع من العرب ابقوا عليهم لقيام مصانعهم وذلك لان الاسبان كانوا متأخرين في الهندسة والصنائع النفيسة واهم مايتنافس فيه الاسبان الى اليوم القيشاني فانك تراه في كل بيت وكنيسة وحائط ونزل ومدرسة وتحف وهو انواع منه مايجعل على الارض ومنه مايجعل على طول قامة الانسان في الجدران المختلفة وللآجر عندهم شأن عظيم في البناء وقد يدوم قروناً كما شاهدنا ذلك في خرائب الفساط بمصر واكثره من بناء القرن الاول للهجرة

يصعب تعداد المصانع التي شادها العرب في اوقات مختلفة في الاصقاع التي نزلوها كما يصعب اعطاء حكم تام على معالمهم لان كثيراً من بنيان الاندلس عور بتداول الايام فصح في مدنها ودساكرها قول احد الاندلسيين في بلنسية وقد عاث العدو فيها

عاثت بساحتك الظبا يا دار ومحا محاسنك البلى والنار
فاذا تردد في جنابك ناظر طال اعتبار فيك واستعبار
ارض تقاذفت الخطوب باهلها وتمخضت بخرابها الاقدار
كتبت يد الحدثان في عرصاتها لا انت انت ولا الديار ديار

للبحث صلة

محمد كرد علي

وصف ربوة دمشق

ومتنزهاتها وميدان القبق

وقفت في كتاب (ذخائر القصر في تراجم نبلاء العصر) لابن طولون الحنفي الصالحي المتوفى سنة ٩٥٣ هـ على فصل بديع استطرد الى ذكره في وصف ربوة دمشق ومتنزهاتها وما كانت عليه من العمران لعهده ووصف ميدان القبق ودقائق ما فيه . فرأيت أن أنقله اليكم ليكون تتمة لما كتبه صديقنا الكاتب الكبير الاستاذ معلوف .

وانما دعاني لذلك أمران « الاول » اشتمال هذا الفصل على فوائد يعز العثور عليها كل حين حتى في كتب البلدان فلا سبيل اليها الا بالتماسها من مثل هذه الدفائن وهو شيء موكول للمصادفات . « والثاني » ان ما بايدينا من معاجم البلدان كتب قبل القرن العاشر الهجري فالوقوف على شيء من وصف العمران حوالي ذلك العصر مما يصبو اليه الباحثون في هذا الموضوع . واليكم نص ماذكره في ترجمة حيدر بن محمد بن جمال العصر أبي ذر[1] الشافعي قال:

« وسألني عن متنزهات دمشق فقلت له أعظمها الربوة وكان بها دكاكين لسمانين وبواردية وأقباوي وفقاعي وفرن وتنور وأربعة شرائحية وطباخ غير من يأتي اليها من البساتين وغيرها من المتعيشين في الطبالي وغيرها .

وكان بها اربعة مساجد وجامع بخطبة ومدرسة يقال لها المنجية[2] موقوفة على مدرس حنفي وطلبته . وكان بها الحمام المشهور فانه من محاسن دمشق ببركة ناهضة وشبابيك شرقية وشمالية وقبلية وغرف . وكان بها ميدان شرقي نهر بردى على الارض وغربيه يصعد اليه بسلم حجر . وكان بها النخوت « كذا » وهو قصر مرتفع على سن جبل به قاعة لبوابه وطبقات على هيئة الايوان ينظر الجالس هناك من مسافة يوم لو لم يكن حائل وبه مأذنة ومسجد وميضأة وتحته نهر ثورا وفوقه نهر يزيد ويصعد اليه من سلم حجر بناه نور الدين الشهيد للفقراء فان الاغنياء لهم قصور . وكان بها خمسة متاصف اثنان شرقي نهر بردى وثلاثة غربيه وفي كل واحد منها بيت للمتاصفي وعنده فرش

(١) في نسخة الاصل للمؤلف النصراباذي نسبة الى نصراباذ في العجم (٢) في الاصل المنجية .

ومخاد ولحف للمتنزهة . وكان بها مكانان لعينين أحداهما تسمى الملثم قبال المهد الشرقي والاخرى الخزنة شمالي المقاصف الغربية وعليها قبة بين نهر بردى والقنوات وهي من العجائب فان ماءها فاتر صيفاً وشتاء وشماليها اربع عيون تبان عند احتراق الماء ثنتان ماؤهما بارد وثنتان ماؤهما سخن . وكان بهما خانان لربط الدواب قبليها . وكان بها ميضأة كبيرة شمالي المهد الشرقي على حافة بردى وهذا النهر أصل أنهارها السبعة والثاني يزيد والثالث ثورا والرابع بانياس والخامس القنوات والسادس الداراني والسابع المزي وكان بها العاشق والمعشوق وهما برجان للحمام في لحف الجبل الغربي وشماليها برج عتيق يسمى العذول .

وكانت هذه الربوة في اول الزمان تقصد بالزيارة ثم تغير أمرها وصار يقع بها المناكر وتقصدها الناس يوم السبت والثلاثاء دائماً وبعض الناس يوم الاحد والاربعاء ويقال لها المحفل تطلع اليها فيهما الحلقية والمتعبدون والخايلية [١] والحكوية وهذا في ايام الصيف وأما [٢] الشتاء فلها ناس تسمى المجاورين ومع ذلك لاتخلو من الصلاة جماعة في المساجد وغيرها . ثم خربت ثم عمرت وهكذا مراراً والآن بقيت مأوى الوحوش . وفي الوادي شرقيها في طريقها من جهة المدينة قطية وقطية مكان كان به سمان وشرائحي ومقاصف وقد خربت . وشرقيها في الطريق المذكور الجبهة وهو مكان على حافة نهر بردى به مسجد ودكاكين لمتعيشة ومقصف له مقاصف عنده فرش ولحف وبركة لها في الربيع وردية «كذا» تقصد وعلى كتفها حمام النزه خربت وعمرت مراراً والآن خراب . وشرقيها في الطريق المذكور المرجة وبها القصر الابلق . وكان من عجائب الدنيا يشرف على الميدان الاخضر شرقيه أنشأه الملك الظاهر ركن الدين عقب رجوعه من حجته في المحرم سنة ثاني وستين وستمائة كذا رأيت هذا التاريخ أعلى بابه الشمالي وعلى أسكفته ضرب خيط من رخام أبيض ووسطه مكتوب عمل ابراهيم بن غنائم المهندس وبابه الآخر ينفذ الى الميدان . وفي واجهته الباقاء ثلاثون شباكاً سوى القاري ووسطه قاعة بأربعة لواوين [٣] قبلي وشمالي في صدرهما شاذروانان وغربي وشرقي في صدر كل منهما ثلاثة شبابيك غربيات مطلات على الطريق الآخذ

(١) هم اللاعبون بخيال الظل . (٢) في نسخة الاصل « في الشتاء » (٣) أي اربعة إيوانات أو أواوين

الى الحمام وتربة الصوفية والشرقيات مطلات على الميدان · وعلى واجهته الشرقية مائة أسد « منزلة صورها [١] » وعلى الشمالية اثنا عشر أسداً منزلة صورها بابيض في أسود وشماليه على حافة نهر بردى قصر شيخنا الزين ابن العيني وقبليه أعلى الكحجانية (كذا) [٢] قصر شيخنا قاضي القضاة الشهاب ابن الفرفور وغربيه قصر شيخنا الشهاب ابن الصميدي وكان لكل من هذه القصور بوابون صيفاً وشتاء وقد خرب جميع ذلك في الدولة العثمانية ولم يبق الا واجهة القصر الابلق الشرقية · وكان من ثم الى الربوة من جهتي واديها قصور وجواسق · وابنية لم يبق منها الا القليل ·

وفي هذه المرجة جرت العادة بان ينصب فيها الذي يرمى عليه النشاب على ظهور الخيل وصفته أنه يشتمل على خمس قوائم الاولى المسماة بالركيزة وهي تدق في الارض بدقاق [٣] لانها كخازوق لكن في رأسها حديدة مركبة صفة الطوق إن لم توثق بها والا تنكسر وفي اسفلها حديدة كصفة سن الرمح لكن أغلظ منه بشيء يسير ويكون دقها في الارض قدر ذراع · والثانية السفلى وطولها سبع أذرع ونصف وعلى رأسها حديدة مجوفة مركبة فيه طولها نصف ذراع منها مجوف بغير خشب ربع ذراع ويكون رأس الخشبة المركبة عليه هذه الحديدة مدوراً وغلظ هذه الخشبة وجنسها كصفة القنطارية التي يلعب بها وتسمى الرمح ومن جنسه وفي أسفلها بخش فيه سير يربط في رأس الحديدة التي في أسفل الركيزة ثم يربط على رأسها · وفي اسفل الركيزة سير يربط به حبل البكرة والا ماتقف ويوثق الرباط والا يحصل فساد في القبق · والثالثة غلظها كغلظ الاولى وطولها سبع أذرع ونصف وربع يركب منها في الحديدة المجوفة التي هي في القائمة الثانية قدر ما يصل وصفة هذه القائمة كالقنطارية لكنها أدق من الثانية · والرابعة وتسمى قائمة البكرة طولها كطول الثالثة وفي أسفلها حديدة مجوفة مركبة مثل الاولى وفي رأسها بكرة وفي البكرة حبل وفي قمة البكرة رزة حديد في وسطها وبعدها رزة ثانية بين الرزتين ثلاث أذرع والحبل الذي في البكرة داخل في الرزتين وفي أسفل القائمة بعد الرزتين

(١) الظاهر ان في العبارة سقطاً وان الساقط بعد لفظ صورها «بأسود في ابيض» وفي نسخة الاصل لاتوجد هذه العبارة « منزلة صورها » (٢) وفي نسخة الاصل الكجحانية (٣) في الاصل دقاق

أطناب من قنب اربعة ان لم يدقوا (كذا) في الارض بعدان يقام القبق والا يخاف عليه من السقوط بالهواء وطول كل باع أحد عشر باعاً (١) . والخامسة قائمة دقيقة يوضع فيها القبق بعد الرابعة طولها سبع أذرع توضع في رأس القائمة التي فيها البكرة ثم يربط الحبل في تلك القائمة وفي أسفلها ويجر في البكرة بعد وضع القبق . وارتفاع القبق جميعه ثلاثون ذراعاً بالحديد . وأما صفة الرمي عليه فهي ان يمسك المعلم عمود القبق وأربعة أنفس يمسك كلٌ واحد منهم الحبل الذي هو طنب القبق ثم تجر العصا المركبة على القبق بالحبل المركب في البكرة ويربط على الركيزة ويقف الراكب الرامي في رأس الميدان وطوله خمسة وعشرون فرساً[٢] وهو لابس مطري[٣] ويجعل في بند وسطه ثلاثة عيدان من نشاب القبق ويعلق القوس في ذراعه الشمال وهو ماسك اللجام ويسوق الفرس في قوة مشواره[٤] ويشد روحه ويخزق أفخاذه على أجناب الفرس ويبعد المهاز عنها ويأخذ القوس والنشاب بسرعة ويكبر[٥] واذا قرب الى القبق بقدر طول قوس أو أنفس[٦] ويمد[٧] ويطوي[٨] وكل ذلك في (مشوار) فرسه وهو سائق ثم يصوب بيده النشاب والاسناد تارة بها وتارة باليمين ثم يعود الى رأس الميدان وهو سائق ويأخذ القوس والنشاب سريعاً ويكبر[٩] فاذا وصل الى قرب القبق يميل ويمد تحت الركاب وينبرم[١٠] ويدور وسطه ويجعل مرفقه على مقدم الامازي[١١] ويدور يديه ويقلب قبضته الى فوق جهة القبق ويدور وجهه ويرمي على القبق ادنندى[١٢] رأس الفرس القبق وشرطه نزول السهم تحت القبق وكل ذلك وهو سائق في (مشوار) واحد ويكرر الرمي على قدر خاطره[١٣] ويختمه بثلاثة أسهم (الاول) من قبل أن يصل الى القبق ويكبر ويرمي السهم (الثاني) تحت القبق ويكبر ويرمي السهم (الثالث) من أعلى

(١) لعل الصواب احدى عشرة ذراعاً (٢) لعل الصواب «قوساً» يريد رمية قوس كما يفهم من عبارته الآتية . وهكذا في الاصل (٣) أطري في نسخة الاصل ولعلها طاري (٤) عامية بمعنى الشوط (٥) في الاصل ويكبر (٦) عامية بمعنى «اكثر» (٧) لعل في العبارة سقطاً او تحريفاً ويظهر انها تستقيم باسقاط الواو التي قبل «يمد» (٨) لعلها «يصوب» (٩) ويكبر (١٠) ينفتل (١١) وفي الاصل الامازي ولعلها الابازيم (١٢) في الاصل أندي ولعله «اذا عدى» كما سيأتي (١٣) بمعني «كما يشاء ويريد»

الكفل اذا عدى الفرس القبق وكل ذلك في (مشوار) الفرس وطول الميدان المقدم ذكره . ويكون نزول الثلاثة الاسهم متوالية واحداً بعد واحد متصلين وحسن قوة الاسهم(١) ان يكون اربعين رطلاً بالشامي حتى تنزل الثلاثة الاسهم بعضها وراء بعض من علو سن الاسهم . وفي العود الى رأس الميدان يرمي ايضا على القبق ثلاثة اسهم في (مشوار) راجلاً[٢] (الاول) حين سرقة[٣] القوس و (الثاني) عند قرب القبق و (الثالث) حين عدت الفرس القبق يلفتها سريعاً ويرمي عليه . والاحسن أن يرمي تارةً على قوس زنته[٤] خمسة وأربعون رطلا شامياً بنشاب يسمى مجراة وتارة على قوس قوته خمسون رطلاً شامياً ايضاً ويسمى هذا القوس الشرخ وقد رمي على هذه الطريقة بحضرة السلطان الاشرف قايتباي وقد تفرج على هذا الرمي قاضي القضاة قطب الدين الخيضري من قصره بالشرف الاعلى تجاه هذا القبق وكان لهذا القصر سبعة شبابيك من حديد وفي وسطه فسقية منصبة[٥] وخارجه صفة قرية بطشطية من حجر المرمر وبقرب هذه الصفة حمام وقد زال هذا كله .

وكان تجاه هذا القبق من جهة القبلة أسفل الشرف القبلي بستان يقال له الخمورة وهي اسم لزهر السفرجل في حفلته تهرع الناس اليه للنزهة وكأنه لم يكن هناك .

ومن منتزهاتها ميدان البلكي[٦] وطوله على ظهور الخيل مائة وتسعون فرساوطول رمي البلكي مائة وأربع وعشرون قوساً وفيه كومان الاول من جهة الرأس مسنم طوله ثلاثة أقواس والثاني مقابله وطوله أيضاً ثلاثة أقواس وعرض وجه الكوم قوس والبارز بينهما ثمانية عشر بعد مائة قوساً[٧] . وقرب هذا البلكي بستان السيرجي ويعرف بالجودة تهرع الناس اليه في ايام حفلته وهو التفاح لكثرته به . ومنها بستان المرشدية[٨] بالقابون التحتاني تهرع الناس اليه في يوم خميس البيض للفرجة على زهر اللوز لكثرته به . ومنها[٩] ست الشام بالوادي التحتاني تهرع الناس اليه في أيام حفلة

(١) لعل الصواب القوس (٢) في الاصل « واحد » (٣) في الاصل « سوق الفرس » (٤) الغالب في القوس التأنيث وقد تذكر (٥) في الاصل « متسعة » (٦) الغالب انه البلكي بالباء (٧) لعله قوساً ومائة قياماً او قوساً (٨) في الاصل الرشدية (٩) لعل الصواب بستان ست الشام

الزهر من حيث هو موجود كزهر المشمش وهو الغالب فيه ٠ ومنها المحلات لدود القز بين عدة أنهر قرب ضريح الشيخ رسلان تهرع الناس اليه في أيام حل جوز القز حتى يصير حريراً للفرجة عليه ٠ ومنها باب كيسان أحد أبواب دمشق تهرع الناس الى ظاهره في أواخر الشتاء للفرجة على المسابقة بين الخيل في مكان يقال له طابق البرينات [١] ٠ ومنها الشيخ سعيد [٢] قبلي المزة تجاه محل استسقاء أهل دمشق وقد أدركت به منبراً من حجر حتى قبته والى جانبه محراب من حجر ودائره حيطان أربعة من لبن يهرع الناس الى هناك للفرجة على الوادي الفوقاني ذهاباً واياباً ويزورون الشيخ سعيداً في [٣] زاويته وفوقه قميص اذا ذكر [٤] الفقراء يبقى هذا القميص يهتز وان لم يكن هواء وانما يهرعون الى هناك أيام قطع الانهر لتعزيلها ورد مائها على نهر بردى أسفل هذا الوادي ٠ ومنها قرية عين الفيجة أصل هذا النهر يهرع الناس اليها أيام استواء [٥] القراصيا فانه لا يوجد بدمشق أحسن منها ولا أكثر ولا أجل [٦] ذا يذهب منها أحمال في علب على بغال الى سلطان مصر في دولة الجراكسة ٠ ومنها قرية برزة شرقي جبل قاسيون يهرع الناس اليها لزيارة مقام الخليل عليه السلام أعلاها أيام استواء [٧] تينها فانه لا يوجد اذ ذاك أحسن منه ويكون التين الماسوني [٨] قد فرغ ٠ ومنها الخميسيات قبلي مغارة الجزع [٩] وانما سميت بذلك لأن مبتدأها كان لزيارة الأموات والآن للفرجة يهرع اليها الناس أيام وجود البلج [١٠] وحب الآس وربما يختصر بعضهم فيجلس عند عين الكرش ويسمى ذلك المكان بالقصبة » ٠ انتهى ما أورده بنصه وعامية عبارته ٠

مصر القاهرة : احمد تيمور

---

(١) في الاصل (البربكات) (٢) لعل الصواب « مسجد الشيخ سعيد » (٣) وفي الاصل « وهو مدفون في زاويته » (٤) في الاصل « ذكروا » (٥) عامية بمعنى « نضج » (٦) كان (٧) نضج (٨) في الاصل الماسيوني وفي محاسن الشام للبدري الماسوني (٩) في الاصل « الجوع » وهو الاصح (١٠) لعله الثلج ٠

جلسة عامة

يوم الخميس في ٢٣ آذار ١٩٢٢ الساعة الرابعة بعد الظهر اجتمع المجمع برئاسة رئيسه الاستاذ السيد محمد كرد علي والاساتذة الشيخ سعيد الكرمي وانيس افندي سلوم والشيخ عبد القادر المغربي وعيسى افندي اسكندر المعلوف وفارس بك الخوري والمطران ميخائيل بخاش والشيخ عبد الرحمن سلام والشيخ عبد القادر المبارك والدكتور مرشد بك خاطر ورشيد بك بقدونس فذكر الرئيس خلاصة اعماله عن زيارته اوربا ومدارسها ومتاحفها ودور كتبها والاطلاع على حركة الاستشراق العربي فيها قال : كان اهم شاغل لي في فرنسا زيارة مدارس النواحي في القرى للذكور والاناث ومدارس المعلمين والمعلمات على اختلاف طبقاتها ودور الحضانة او حدائق الاطفال وقد لقيت من القائمين على تلك المدارس كل رعاية ومعاونة وحضرت بالنفس القاء الدروس واطلعت على تراتيب تلك المعاهد ولا سيما في باريز وضواحيها مثل سان كلو وسيفر وكلامار . وقد دعيت في باريز الى حضور جلسة الجمعية الآسياوية برئاسة المسيو سينار **Senart** العالم المشهور وقد حضرها كثير من اخواننا علماء المشرقيات في باريز فأهل بي الرئيس وحياني وحيا في شخصي المجمع العلمي العربي واستفدت فوائد كثيرة من هذه الجلسة التي خطب فيها اثنان من الاعضاء انتدبتهما الجمعية الآسياوية الى حضور احدى المؤتمرات في اميركا الشمالية فقدما لجمعيتهما حساباً علمياً عما شاهداه وواحد منهما اخصائي في الآثار المصرية والآخر في الآثار الصينية . وزرت هذه المرة ايضاً مدرسة اللغات الشرقية وتعرفت الى مديرها المسيو بوبه **Boyer** وقد تفضل وقدمني الى كثير من المستشرقين والشرقيين من هنود وصينيين ويابانيين وفرس ممن يدرسون في مدرسته السنتهم الشرقية .

قال وحضرت في باريز عدة خطب ومحاضرات ودروس المشتغلين بآثار الشرق منها دروس احد اعضاء مجمعكم صديقنا المسيو ماسنيون **Massignon** في (كوليج دي فرانس) وفي جمعية العلماء وهو يتكلم عن الشرق الاسلامي كلام فهم وصحة حكم

وحضرت محاضرة المسيو فرّان Ferrand احد علماء المشرقيات وناشر كتاب ابن ماجد البصري في الملاحة العربية واني اقترح عليكم ان يضم هذا الرجل الى اخواننا اعضاء المجمع ليستفيد منه مجمعنا كما اقترح عليكم ضم اربعة آخرين وهم المسيو كليمان هوار Huart مؤلف تاريخ العرب وكتاب آداب اللغة العربية وناشر كتاب البدء والتاريخ وغيره والمسيو مارسيه Marçais وهو مستشرق كبير يصرف نصف سنته في التدريس في تونس والنصف الآخر في مدرسة اللغات الشرقية بباريز وله عدة مصنفات وآثار ويحسن العربية كما نحسنها ويتكلم كما نتكلمون بطلاقة لا عجمة فيها والرجل الثالث المسيو باسيه Basset عميد مدرسة الآداب في الجزائر وناشر المؤلفات المفيدة واحد مديري تأليف دائرة المعارف الاسلامية والرجل الرابع المسيو ميشو بلار Michaux Bellaire احد العارفين بتاريخ الغرب الاقصى واجتماعه وعلومه وناشر الكتب والابحاث المفيدة فيه وهو مقيم في مراكش منذ ثماني وثلاثين سنة وينزل الآن طنجة وقد تزوج بمراكشية من عهد طويل ويعيش عيش المراكشيين ويلبس لباسهم ويصوم معهم ويتأسى بعاداتهم ويتكلم بلهجتهم . والمستشرقون الثلاثة الاخيرون يوقفون مجمعكم ولا شك على امور كثيرة تنفعه من علوم ثلاثة اقطار عربية مراكش والجزائر وتونس او الغرب الاقصى والاوسط والادنى .

قضيت في فرنسا شهراً ونصفاً ثم ذهبت الى البلجيك فنزلت بروكسل عاصمتها وسألت عن علماء يعنون باللغة العربية فدللت على احد الرهبان فقصدته في ديره فلم اظفر به . ودروس الاستشراق العربي ضعيفة وان كان بعض الشبان هنا يعنون على ما بلغني بدراسة العربية ولم نعرف بعد المسيو شوفين Chauvin المتوفى ان هناك رجلاً كبيراً يعتمد عليه من المشتغلين من البلجيكيين في المشرقيات العربية وزرت في بروكسل معهد المجمع العلمي الملوكي الذي هو على اتصال دائم مع مجمعكم بتبادلنا مطبوعاته . ولما نزلت هولاندة كان من اكبر همي ان ازور المسيو سنوك هورغرونج Snouck-Hurgronje من مشايخ الاستشراق في الغرب وقد صرف بضع عشرة سنة من حياته في جاوة ومكة المكرمة وهو عارف باحوال الاسلام والمسلمين معرفة تامة ضليع من الفقه والشريعة الاسلامية حتى انه يعد فيها اماماً بعد وفاة شيخ المستشرقين صديقنا الاستاذ غولد صهير

Goldziher المجري واني اقترح على مجمعكم العالي ان يضم اليه هذا العظيم بعلمه ومكانته في بلاده وجزيرة العرب وجزائر جاوة وما اليها وهو الآن استاذ العربية في جامعة ليدن خلفاً للاستاذ هوتسما Houtsma عضو مجمعكم الذي اعتزل الخدمة وهو اليوم في سن الشيخوخة في اوترخت ولا يزال دؤوباً على العمل ومدير تأليف دائرة المعارف الاسلامية وقد تشرفت بزيارته في بلده للفضل وكتب لي تقريراً بالافرنسية عن تاريخ الاستشراق في هولاندة والمقصد من تعلم العربية عندهم وسأنشره في فرصة اخرى وعسى ان يرضى مجمعكم ايضاً بان يضم اليه من المستشرقين الهولانديين مستشرقاً آخر اسمه الدكتور فان اراندونك Arendonk وهو مؤلف تاريخ المعتزلة وله مقالات في الموسوعات الاسلامية وغيرها .

اما في انكلترا فقد زرت في جامعتي كمبردج واكسفورد صديقينا عضوي مجمعكم الشرفيين الاستاذين براون ومرجوليوث Browne و Margoliouth وسررت جداً بلقاء الاستاذ بفن Bevan من اساتذة (ترنيتي كوليج) احد معاهد جامعة كمبردج وناشر كتاب مناقضات جرير والفرزدق وغيره من آثار العرب وهو يشتغل بشعر العرب العرباء ومثله بضعة افراد من علماء المشرقيات في اوربا يتوفرون اليوم على دراسة هذا الشعر واني اقترح عليكم ان تتفضلوا وتفكروا في ضم هذا المستشرق المستعرب الى جماعتكم ليستفيد منه مجمعنا لانه خدم آداب لغتنا خدمة طويلة خاصة وقد زرت مدرسة اللغات الشرقية التي انشأتها انكلترا في عاصمتها لندرا سنة ١٨١٦ زمن الحرب العامة على مثال مدرستي باريز وبرلين واستدعت شيوخ المستشرقين لتدريس لغات الشرق فيها وهي لا تقل عن ثلاثين لغة ولهجة .

نسيت ان اذكر لكم اني زرت في جامعة ليدن في هولاندة مكتبتها العربية وهي لا تقل عن ثلاثة آلاف مجلد كما زرت مكتبة المتحف البريطاني في لندن ولا سيما مخطوطاته العربية وزرت داري الكتب في جامعتي كمبردج واكسفورد وفيهما امهات من الوف من المخطوطات ومنها ما لم نطلع عليه . وقدرت ان ما حفظ من المخطوطات العربية في مكتبة وزارة المستعمرات الانكليزية والمتحف البريطاني ومدرستي كمبردج واكسفورد بمئة الف مجلد ولا تزال في نمو متواصل وهي مفهرسة مبوبة طبعت قوائم

المجموعات الاولى منها منذ اكثر من مئة وخمسين سنة ولا تزال تضاف اليها ملحقات كما توفر منها قسم جديد وينشر ذلك ويستفاد منه بالتأني والدؤوب واعمال علماء الانكليز كاعمال هذه الامة تسير ببطء شديد ولكن على صورة ثابتة متصلة ·

وبعد ان تكلم قليلاً عن حركة المشرقيات العربية في انكلترا قال: اني زرت مجريط عاصمة اسبانيا واجتمعت بصديقنا الاب آسين احد اعضاء مجمعكم وقد اطلعني في خزانة كتبه على قماطر الجزازات (*Fiche*) التي جمعها الاستاذ ريبرا المستشرق الاسبانيولي في تراجم علماء العرب في الاندلس وهي ثلاثون الف جزازة لثلاثين الف عالم وقال لي ان الاستاذ البرنس كايتاني عضو مجمعكم في رومية قد استنسخها مؤخراً وسيطبعها لتعم فائدتها وزرت القسم العربي من خزانة مكتبة الامة وفيه مجموعة لا بأس بها كما زرت خزانة كتب الاسكوريال من اديار القرون الوسطى والقسم العربي منها حديث اخذ غنيمة من احدى سفن ملك المغرب الاقصى على مقربة من اسبانيا وذلك في القرن السابع عشر ولا اقل هذه المجموعة عن الفي مجلد وليس في بلاد اسبانيا مجموعات مهمة من المخطوطات العربية لان رؤساء الدين فيها كما تعلمون يوم فتح صاحب قشتالة الاندلس واستخلصها في القرن التاسع للهجرة من ايدي العرب ظلوا نحو خمسين سنة يحرقون كتب العرب حيث وجدت ليقضوا بها عليهم وعلى مدنيتهم · وذكر الرئيس اشياء كثيرة عن متاحف اسبانيا والاندلس وعن مجموعات خاصة من العاديات والاعلاق النفيسة ثم قال: ولما وافيت برلين كان من اكبر همي استنساخ مخطوطات عربية نادرة من دار كتبها بالتصوير الشمسي ففعلت واخذت بهذه الطريقة اربعة مخطوطات من برلين واربعة من مكتبة مونيخ عاصمة باڤاريا واكثرها مما يتعلق بتاريخ هذه البلاد بلاد الشام وهي(١) كتاب « الباشات والقضاة بدمشق زمن السلطان سليم خان وبعده لمحمد بن جمعة المقار اوله الباب الرابع والخمسون وهو قطعة من كتاب (٢) كتاب ايضاح الظلم وبيان العدوان في تاريخ النابلسي الخارج الخوان لحسن بن احمد ابن عربشاه وهو مسجوع (٣) تراجم الاعيان من ابناء الزمان للحسن البوريني فرغ منه اوائل رجب المرجب سنة ثمان وسبعين والف (٤) تاريخ حكماء الاسلام لظهير الدين البيهقي (٥) كتاب نقش فصوص خواتم الحكماء واجتماعات الفلاسفة في الاعيا

و تفاوض الحكمة بينهم (٦) تراجم اعيان الطبقة الاولى من القرن الحادي عشر تأليف عبد الرحمن بن محمد بن حمزة واسمه الجواهر والدرر في تراجم اعيان القرن الحادي عشر وهو مسودة المؤلف «٧» تاريخ الامير فخر الدين بن معن تأليف احمد بن محمد الخالدي الصفدي «٨» كتاب الدارس للنعيمي وهي نسخة بخط ولد المؤلف مخرومة قليلاً وذلك لكي نعارض عليها نسختنا المحفوظة في دار الكتب العربية بدمشق ومعلوم اننا نريد ان نطبعها .

ولا يتسع الوقت حتى اذكر لكم ما رأيته من المخطوطات العربية النادرة في داري كتب برلين ومونيخ . وامهات خزائن الكتب العربية في المانيا توجد في برلين في دار كتب الامة ودار كتب مدرسة اللغات الشرقية وفي خزانة كتب الحكومة في مونيخ وفي خزائن الكتب العامة في غوتا وغوتنغن وليبسيك ومن اقدر علماء المشرقيات العارفين باللغة العربية عندهم الاستاذ متفوخ **Mittwoch** والاستاذ ساخو **Sachau** والدكتور موريتز **Moritz** والدكتور فيل **Weil** والدكتور بكير **Becker** في برلين والدكتور بركسترازي **Bergstrasser** والاستاذان فيشر وريشار هارتمان **Fischer Richard Hartmann** في ليبسيك والاستاذ بروكلمان **Brockelmann** في هالي وقد نقل الى برلين والاستاذ غريم **Grimm** في مونستر والاستاذ جاكوب **Jacob** في كيل والاستاذ هيل **Hell** في ايرلانجين والاستاذ هوميل **Hommel** في مونيخ والمعلم ليتمان **Littmann** في توبنغن والمعلم ريتر **Ritter** في همبورغ والاستاذ نولدكه **Noeldeke** في كرلسروح والاستاذ ركاندورف **Reckendorf** في فرايبورغ والاستاذ هوروفتز **Horovitz** في فرنكفورت . وقد اجتمعت ببعضهم ومنهم من اعرفه من قبل وارى من واجبي ان اذكر لمجمعكم العالي بان لنا من اعضاء الشرف في تلك البلاد الاستاذان بروكلمان ومتفوخ فاذا حسن لديكم ان تضموا اليها الاساتذة نولدكه وهوروفتز وهوميل وهارتمان لتم معلومات مجمعنا عن الحركة الاستشراقية . وقد زرت في جنيف الاستاذ مونته **Montet** عضو مجمعكم ومن اساتذة جامعتها كما لقيت في القاهرة خمسة من اعضائه وهم الدكتور يعقوب صروف واحمد كمال بك واحمد تيمور باشا واحمد زكي باشا والدكتور اوجينو غريفيني **Griffini** الايطالي .

ورأيت كل من اسعدني الحظ بالاجتماع بهم من علماء المشرقيات يثنون على عملكم

وعمل اخوانكم في مصر والشام والعراق وغيرها من الاقطار وهم ينظرون فيما تنشرون نظر تدقيق وبحث ويناجونكم من وراء البحار بما يقرأونه من ابحاثكم ومحاضراتكم في مجلة المجمع العلمي العربي . وقد زرت المخطوطات العربية المبعثرة بل المحفوظة في مكاتب عواصم اوربا وهي لاتقل عن ربع مليون مجلد واهمها في فرنسا وانكلترا والمانيا وايطاليا والنمسا وهولاندة والسويد والدانيمرك واسبانيا وبولونيا وروسيا واذا صحت العزيمة على اخذ النوادر من المخطوطات الموجودة في الغرب بالتصوير الشمسي لاتمضي على دار الكتب العربية في هذه العاصمة بضع سنين حتى يكون لها منها مجموعة مهمة ويرى فيها كل طالب ومؤلف بغيته من آثار السلف كما تفعل الآن دار الكتب السلطانية بالقاهرة وتصور كل سنة عشرات من الاسفار المخطوطة بهذه الطريقة في النسخ الامينة من المسخ والسلخ .

وبعد ان افاض في هذا الشأن قال : اني صرفت وقتاً في زيارة دور الآثار ومعاهد العاديات في جميع المدن التي زرتها في اوربا في سياحتي هذه للمرة الثالثة فلما رأيت احتفاظ تلك الامم بعادياتها وتحفها كتبت الى صاحب السلطة الاول في سورية ألفت نظره الى ما اخشى عليه من اخذ آثار سورية الى خارج البلاد ورجوته ان يتفضل فيأمر من يلزم للاحتفاظ بآثار الشام في امهات مدنه ليحفظ بذلك تاريخها وثروتها كما فعل صاحب الشأن في الغرب الاقصى ومنع اصدار الآثار المراكشية الى الخارج وجعلت في دور ومتاحف ليستفيد ابناؤها منها علماً وعملاً ومادةً ومعنى وعساه فاعل بحول الله .

ثم قال وبهذا المقام اسمحوا ايها السادة ان اقترح عليكم ضم الاساتذة بول Buhl وبدرسين Pederson واوسترب Œstrup من علماء المشرقيات المستعربين في الدانيمرك ولهم مقالات مهمة في الموسوعات الاسلامية وآثار وعناية بلغة العرب والاستاذ هيس Hesse في زوريخ في سويسرا والاستاذ زترستين Zetterstein في اوبسالا في السويد والاستاذ ماكدونالد Macdonald في جامعة هارفرد في اميركا والاستاذ كوفالسكي Kowalski في كراكو في بولونيا والاستاذ موجيك Mzik في فينا من النمسا والاستاذ موزيل Musil في جامعة براغ عاصمة التشكوسلوفاكيا

وهو المعروف في هذه الديار بالشيخ موسى الرويلي لانه قضى بضع عشرة سنة مع عرب الرولة ورسم احسن مصور لبلاد العرب وله مؤلفات كثيرة مهمة عن آثار بلاد العرب حازت مكانة عليا عند الباحثين في تاريخ الشرق وعادياته وبذلك يكون لنا اخوان واعضاء شرف في اهم البلاد التي تدرس فيها العربية وتنشر فيها تركة اسلافنا ويبحث فيها عن مدنيتهم واذا انضاف الى ذلك ما زاد وسيزيد في خزانة كتبكم وفي دار الكتب العربية من الاسفار وما اطرد ارساله الينا من مجلات المستشرقين نكون قد خطونا الخطوة الاولى المهمة في سبيل انهاض مجمعنا العلمي وتحقيق الآمال في انفاذ الخطة التي اختطها لنفسه منذ اول تأسيسه واذا كان هو الآن احدث مجمع علمي في العالم فلا يمضي زمن طويل حتى يشب وينمو بفضل معاونتكم وفي ظل انوار معارفكم ومعاضدة حكومة البلاد وفقها الله .

وبعد ذلك تناقش الاعضاء قليلاً في مسألة ضم الاعضاء الجدد الى المجمع . وقال الاستاذ فارس بك الخوري : ايها الاستاذ الرئيس ان المجمع لا يعرف اكثر هؤلاء الذين رشحتموهم لينضموا الينا ويعدوا في جملتنا من علماء المشرقيات في الغرب فاذا كانوا على مستوى اخواننا الذين انضموا الينا حتى الآن ولهم سابقة في خدمة لغتنا وآدابها ويرجى منهم خدمة مجمعنا فانا اوافق على ضمهم . فاكد له الرئيس انهم كلهم من الكفاة المشهود لهم وان لهم آثاراً تنم عنهم في هذا الشأن فوافق المجمع على مقترح الرئيس وانفضت الجلسة الساعة السادسة .



ملاحظة

رأيت في اول صفحة من العدد الثاني لسنة ١٩٢٢ مانصه : واشتهر (قطرب) بتآليف كثيرة لغوية منها كتاب (المثلثات) المطبوع في ماربوغ سنة ١٨٥٧ م بعناية فيلار وهي ارجوزة كان اول من جمعها ه

هذه العبارة تقتضي بعض اصلاح او ايضاح وارجو من جناب محررها السماح

(١) كتاب المثلث لا المثلثات كما جرى عند الناس لم يطبع في علمي الى الآن

(٢) لم ينظم قطرب مثلثه وكتابه كباقي تآليفه منثور وتوجد منه نسخ عديدة في اوروبا لاسيما في برلين عدد ٧٣ ـ ٧٠٧١ وفي باريس وليدن وعندي منه نسختان تامتان بخط مغربي عادي واول الكتاب « هذا كتاب الفه قطرب بن احمد البصري سماه المثلث وهو حرف تراه في الكتاب على صورة واحدة ويتصرف على ثلاثة معان فمنه الغَمر والغِمر والغُمر الخ »

(٣) اما الذي طبعه فيلار في ماربورغ (لاماربوغ) سنة ١٨٥٦ ! (لا ١٨٥٧) فهو ارجوزة المزدوجة التي نظمها وجيه الدين عبدالوهاب بن حسن بن عبدالوهاب المهلبي البهنسي الشافعي المتوفى سنة ٦٨٥ (ترجمته في بغية الوعاة للسيوطي ص ٣١٨ وطبقات الشافعية للسبكي ج ٥ وص ١٣٣) وهذه الارجوزة قدطبعت في مصر سنة ١٣١٥ منسوبة لقطرب نفسه مع ان صاحبها قال في آخرها « نظمت في وصفي له مثلثا لقطرب » والارجوزة معزوة لمؤلفها المهلبي موجودة في مكتبة برلين عدد ٧٠٧٤ وغوطا عدد ٣٦ و ٦١ و ٤١٠ وان اقتضى رأيكم الاصوب طبع كتاب مثلث قطرب فاني رهن اشارتكم لنسخه لكم احياء للرفات وانشاراً للاموات

قد كان خطر ببالي للايضاحات المتعلقة بكتاب الازمنة زيادة تختص بتعريف بعض العلماء المذكورين فيه كتعريف ابي تغلب عبد الوهاب بن علي الذي ترجمته موجودة في كتاب الانساب للسمعاني في ظهر ورقة ٥٤١ وتعريف المعافى بن زكرياء الذي عقد له السيوطي في بغية الوعاة فصلاً ص ٢٩٤ ثم ظهر لي انه ربما لا يليق بالمجلة فوقفت القلم قبل الندم . . .

الجزائر : محمد بن ابي شنب



No. 5 MAI 1922 2ème ANNEE

LA REVUE

DE L'ACADÉMIE ARABE

Fondée le 1 Janvier 1921, Correspondant au [21 Rabih-el-çani 1339]

Revue mensuelle paraissant à Damas

Prix d'abonnement : une livre Syrienne et demie.

TABLE DES MATIÈRES